توجيه معنى الفعل "قرنَ" في سورة الأحزاب

حاج إسماعيل بن لولو
جامعة غرداية- الجزائر

ملخص:

هدفت الدّراسة إلى التعرّف على أصل المعاني التي يحتملها الفعل(قرن) من خلال عملية التوجيه التي قام بها النحويون، و كذلك معرفة المعنى الرّاجح فيه، من خلال الإجابة على السؤال الرئيس الآتي: ما المقصود بالفعل(قرن) في الآية الكريمة:(**وقرن** في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى)[الأحزاب/33] ؟

اعتمد الباحث في ذلك على المنهج الوصفي من خلال عرض المعاني اللغوية للفعل(قرن). والمنهج التحليلي منخلال ما تطرقّ له العلماء في توجيه أصل تلك المعاني. والمنهج المقارن، بالمقارنة بين تلك التوجيهات وإبراز الرّاجح منها.

وتوصّل في الأخير إلى عدّة نتائج، أهمّها: أنّ الفعل قرن بالفتح والكسر له أربعة معاني، وهي: القرار(المكوث والاستقرار) في القراءة الأولى والثانية، قرّة العين، الوقار، الاجتماع. وأنّ النّحويّين ألحقوا الفعل قرن أثناء توجيه أصل معانيه إلى أفعال ثلاثة، وهي: الفعل المضاعف، الفعل الأجوف، والفعل الثلاثي المعتلّ الفاء. كما رجّح الباحث ما ذهب إليه بعض المفسّرين والنحويين، وهو أنّ قرّة العين معنى للفعل (قرن) في القراءة الأولى، والوقار معنى للقراءة الثانية.

Abstract:

The aim of the study to identify the origin of the meanings that intolerable act, a century) through the routing process by the hadith (Prophet Mohamed says), and also to know on the likely through the answer to the question of the coming president: what is already a century) in verse:, Century rehearsed to you in not disclose your body such as single vanities Pre-islam)[Ahzab/33]?

Which was adopted, the researcher in the descriptive approach through the presentation of the linguistic meanings of the wrongdoing State, a century).The analytical approach through his scientists in directing the origins of those meanings. Comparative methodology, compared between those instructions and to highlight the likely.

And reached to several results, the most important of which are: the act a century swing breakage has four meanings: resolution, remain stability in the first and the second reading, eye delight, reverence, meeting, all the meanings of the unbearable verse. And that scientists grammar inflicted the act a century during the reorientation of its origin to the acts of three, namely: the act multiplier, empty Act, Act ailing tripartite characterization. He suggested the researcher to some authoritative interpreters and scholars as, eye delight the meaning of the act (a century) on first reading, poise on second reading.

مقدمة:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه بلسان قومه وعلى سبعة أحرف، ليكون أوقع في نفوسهم وأيسر فهمًا إلى عقولهم؛ فتنوعت أوامره ونواهيه في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأسرية وغيرها.

فاجتهد العلماء في فهم وتفسير تلك الآيات وتعدّدت استنباطاتهم بسبب اختلاف القراءات، واحتمال اللفظ الواحد لعدّة معان من كلام العرب، وغيرهما من الأسباب. لذا كان لزاما على كل مفسّر أن يفهم المعنى المقصود من كل آية فهما جيّدًا، ويوجّه مضمون ألفاظها وفق ما ترتضيه لغة العرب، ودون أن يتعارض هذا مع غيرها من الأدلّة الشرعية لأنّه سيترتّب عليهأحكاماً شرعيّة.

فمن الألفاظ التي اختلف المفسّرون في توجيه معناها: الفعل(قرن) الذي خاطب به الله تعالى أزواج النبيء صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب قائلا:(**وقرن** في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى)[الأحزاب/33].

فما المقصود بالفعل(قرن) في الآية الكريمة ؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

1- ما القراءات الواردة في هذا الفعل؟

2- ما هي المعاني المحتملة للفعل (قرن) في لغة العرب ؟

3- كيف وجّه المفسّرون هذه المعاني ؟

4- ما هو المعنى الراجح للفعل (قرن) ؟

تهدف هذه الدراسة إلى التعرّف على أصل المعاني التي يحتملها الفعل(قرن) من خلال عملية التوجيه التي قام بها النحويون، و كذلك معرفة المعنى الرّاجح فيه.

وسبب دراسة هذا الموضوع هو إغفال جمهور الفقهاء والمفسّرين للمعاني المتعدّة للفعل قرن وحصره على معنى القرار رغم ما في هذا المعنى من علل تقدح فيه، نبّه إليها جمهور النحويّين. وكذلك عدم اقتناع الباحث بأنّ هذا المعنى- الذي ذهب إليه أغلب المفسّرين- هو الرّاجح في ذلك.

وتتمثّل أهمية الدّراسة في أنّ المعنى اللغوي الرّاجح للفعل(قرن)، سيترتّب عليه أحكاما شرعيّة. لذلك وجبَ الاهتمام بهذا المدخل لأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين.

وقد تمّ تقسيم البحث وفق الخطة الآتية: ففي المبحث الأول تطرق الباحث إلى القراءات الواردة في الآية الكريمة ومعناها، وفي المبحث الثاني تناول توجيه أصل هذه المعاني من القراءات؛ أمّا المبحث الثالث فخصّصه الباحث للمناقشة وبيان المعنى الراجح للفعل(قرن)، ثم خاتمة عرض فيها أهم النتائج المُتوَصّل إليها.

أمّا حدود الدراسة فتقتصر على تناول المسألة من مدخل لغويّ فقط، دون الخوض في الأدلة الواردة في السنة النبويّة التي تنفي أو تثبت تلك المعاني المحتملة للفعل(قرن).

وقد اعتمد الباحث في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي من خلال عرض المعاني اللغوية للفعل(قرن). والمنهج التحليلي من خلال ما تطرقّ له العلماء في توجيه أصل تلك المعاني. والمنهج المقارن، بالمقارنة بين تلك التوجيهات وإبراز الرّاجح منها.

1/ القراءات الواردة:

أ- القراءة الأولى بفتح القاق "قَرن": وبها قرأ الإمام نافع وعاصم وأبو جعفر[1]. وقال أبو عبيدة نقلا عن الكسائي والفرّاء والزّجاج بأن هذه (قرن بالفتح) قراءة على لغة أهل الحجاز[2].

ب- القراءة الثانية بكسر القاف: وبها قرأ بقيةالعشرة من القراء[3]. وذكر أبو جعفر الطبري أن هذه القراءة أولى بالصواب عنده[4]. ورجّحها أبو جعفر النّحاس[5]. وهي-إذا-اللغة المشهورة[6]، والفصيحة كما أشار الدّمياطيّ[7].

ج- القراءة الثالثة: "واقِرْن" بألف وصل وراءين، الأولى مكسورة على الأصل. قرأ بها ابن أبي عبلة[8].

2/ آراء العلماء في معنى "قرن":

أ- معنى "قَرن" بفتح القاف:

اختلف المفسرون في معنى الفعل "قَرن" بالفتح إلى أقوال، وهي كالآتي:

القول الأول: بمعنى الإقامة والاستقرار بالبيت، وبه قال جمهور المفسّرين[9].

القول الثاني: بمعنى قرّة العين[10]. أي: اقررن عيونا في بيوتكنّ، وبه قال المازني وأبو حاتم[11]، وعلي بن سليمان وأبو جعفر النحاس[12].

قال الطّاهر بن عاشور: "ومعناه: لَكُنّ في بيوتكن قُرّة عين فلا تتطلّعنَ إلى ما جاوز ذلك، أي: فيكون كناية عن ملازمة بيوتهن"[13]. وقال أطفيّش حول المعنى اللغوي لقرّة العين:" وأمّا القِرّةُ بمعنى البرودة المكنيّ بها عن الفرح في قرِرْتُ عيناً،...ووجه الكناية أنّ الحزن دموعه حارّة، وعينه حارّة، والفرح لا حرارة لعينه حادثة...فنسبة البرودة إليها نفي للحرارة، فهي كصفات السلب في حقّ الله تعالى"[14].

– القول الثالث: بمعنى الاجتماع. ومنه القَارَّةُ وهي قبيلة سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما أراد ابن الشّدّاخ أن يفرّقهم في بني كنانة، ومنه قول شاعرهم: دعونا قارَةً لا تنفرونا...فنجفلْ مثل إجفال[15].

ب- معنى "قِرن" بكسر القاف:

اختلف العلماء في معنى الفعل "قِرن" بالكسر إلى أقوال، وهي كالآتي:

– القول الأول: من الوقار، وبه قال ابن عطية، ورجّحه أبو جعفر الطبري[16]. وهو الحلم والرّزانة والثبات.

– القول الثاني: من القرار. وبه قال المبرّد[17].

3/ توجيه معنى القراءات:

أ- توجيه القراءة بفتح القاف "قَرن":

– توجيه المعنى الأول: ذهب القائلون بالقرار، إلى أنّ الفعل "قَرن" بالفتح أصله: قرِرت، بالكسر في الماضي أقَرّ بفتح القاف في المضارع، اقرَرن في الأمر[18].

فحذفت الراء الأولى تخفيفا للتضعيف وألقيت حركتها على القاف، فتصبح: اقْرَنَ[19]. ثم حذفت الألف لأنّ القاف تحركت[20]، فتصير: قْرَنَ.

– توجيه المعنى الثاني: ذهب القائلون بقرّة العين، إلى أنّ قَرن بالفتح أصله: قرِرت بالكسر فقط، وهو لا يرد إلا بمعنى قرة العين في كلام العرب[21]، وهو المشهور عندهم. فنلاحظ أنه قد جرى فيه نفس الإعلال الذي في المعنى الأول[22].

– دليل هذين التوجيهين:

ذكر أبو عبيد عن الكسائي، أنّ أصل قَرن بالفتح هو: قرِرت بالكسر في الماضي، أقرّ بفتح القاف في المضارع، كقولنا: حمِد يحمَدُ بالكسر في الماضي والفتح في المضارع[23]. أو هو نحو قولك: هل أَحَسْتَ صاحبك؟ أي: هل أحسَسْتَه؟ ونحو قوله: فظَلْتُمْ يريد: فظلِلْتُمْ[24]. وذكر الطبري أنّ هذا ليس بعلّة توجب صحة هذا التوجيه لأنّ "مَن قَال من العَرَب: ظَلْتُ أَفْعَلُ كَذَا، وَأَحَسْتُ بِكَذَا، فَأَسْقَطَ عَيْن الْفِعْلِ، وَحَوّلَ حَركتهَا إِلى فَائِه فِي فَعَلَ وَفَعَلْنَا وَفَعَلْتُمْ، لَمْ يَفْعَل ذلك فِي الأمر وَالنّهي، فَلا يَقُولُ: ظَلَّ قَائِمًا، وَلَا: لاَ تَظَلَّ قَائِمًا"[25]. وهي لغة حكاها البغداديون والكسائي والأخفش، وأنكرها المازني ولم يحفظها[26].

وذكر أبو عبيد أنّ أشياخه من أهل العربية كانوا ينكرون القراءة بالفتح للقاف، وذلك لأن قرَرت بالمكان بالفتح أقَرّ لا يجوّزه كثير من أهل العربية، والصحيح قرِرت بالكسر أقَرّ بالفتح[27]. وقال أطفيّش:"وشذّ|الفعل| وقَرْنَ، بفتح القاف في قراءة نافع؛ لأنه تخفيف للمفتوح بالحذف على لغة ضعيفة يقال عليها:(قَرَّ يَقَرُّ) كعَلِمَ يَعْلَمُ"[28](الكافي في التصريف، أطفيش، 186).

– توجيه المعنى الثالث: أصله من قارَ يقارُ[29]. كخاف يخافُ، وهو من باب علِمَ يعلَمُ، لا غيره[30].

ب- توجيه القراءة بكسر القاف "قِرن":

- توجيه المعنى الأول: ذهب القائلون بالوقار، أنّ قِرن بكسر القاف من: وقر، يقِرُ وقاراً، والأمر منه: قِرْ بكسر القاف، وللنساء: قِرنَ. نحو قولنا: عِدْ[31] للمفرد المذكر، عِدنَ لجموع النسوة[32]. وأصله: اوقِرْنَ، فصار بحذف فائه إلى قِرْنَ[33].

- توجيه المعنى الثاني: ذهب القائل(المبرد) بالقرار، إلى أنّ الفعل " قِرن" بالكسر من قرَرْت بالمكان بالفتح أقِرّ بالكسر، فحذفت الرّاء الأولى تخفيفا، كما فعلوا في ظِلْتُ أصلها: ظَلِلْتُ، ومِسْتُ أصلها: مَسِسْتُ[34]. وذهب الفرّاء في توجيه هذا القول إلى أنه كقول أعرابيّ من بني نُمَير: ينحَطْنَ من الجبل، يريد: ينحطِطْنَ، وهذا يقوّي ذلكَ[35].

وذكر أبو جعفر الطّبري أنّ هذا إن صحّ فهو أكثر حجة من التوجيه الأول[36]. أي: من ظِلْتُ ومِسْتُ.

قال الفرّاء: "فلو قَالَ قائل: (وقِرْنَ) بكسر القاف يريد واقرِرْنَ بكسر الرَّاء...ولم نجد ذلك في الوجهين جميعًا مستعملا في كلام العرب إلا في فعلت وفعلتم وفعلن فأما في الأمر والنهي المستقبِل فلا. إلاّ أنا جوزنا ذلك لأن اللام في النسوة ساكنة في فعلن ويفعلن فجاز ذلك"[37].أي: أنّ الأصل عدم جواز نقل الحركة مع الحذف في الأمر والنهي المستقبِل. ففعل ذلك تجاوزا لسكون لام الفعل في فعِلن ويفعَلْنَ(قَرِرْنَ، يَقْرَرْنَ). وأيضا، فُعل ذلك قياسا على ظِلت، مِستُ.

- توجيه آخر للمعنى الثاني: ذهب "أبو علي الفارسيّ إلى أنّ الرّاء الأولى في "اقرِرْن" أبدلت ياء كراهة التضعيف كما أبدلت في قيراط ودينار، فصار للياء حركة الحرف الذي أبدلت منه، والتقدير: اقِيرْنَ، ثم ألقيت حركة الياء على القاف خشية تحريك الياء بالكسر، وبالتالي تسقط الياء لاجتماع السّاكنين، وسقطت همزة الوصل لتحريك ما بعدها فصارت: قِرْنَ"[38].

ج- معنى القراءة الثالثة وتوجيهها:

وهي التي قرأ بها ابن أبي عبلة، تفيد معنى القرار[39]. فالأمر منه اقرِرْنَ، حيث أُبدِلت من العين(عين الفعل) الياء كراهة التضعيف كما أبدلت في دينار و قِيرَاط[40]، فصارت: اقيرْنَ. ثم "نقلت كسرة الياء إلى القاف، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين واستغني عن ألف الوصل فبقي: قِرن بكسر القاف"[41]. ونلاحظ أنه هو نفس توجيه المعنى الثاني(القرار) من القراءة الثانية.

4/ مناقشة وترجيح:

قبل ذكر الرأي الرّاجح في المسألة، لا بأس بالإشارة إلى ملاحظات نحوية مهمّة تتعلّق بتوجيه أصل الفعل(قرن):

- ذهب النحويّون إلى أنّ: الفعل إن كان ثلاثيا مكسور العين، وعينه ولامه من جنس واحد، فإنه يستعمل في حال إسناده إلى الضمير المتحرك على ثلاثة أوجه: تامّا ومحذوف العين بعد نقل حركتها إلى الفاء، ومحذوف العين من دون نقل للحركة[42]. فيقال في الفعل(ظلّ): أنا ظَلَلتُ(بالإتمام)، أو أنا ظِلتُ(بالحذف مع نقل الحركة، وهي لغة تميم) أو أنا ظَلتُ(بالحذف من دون نقلٍ، وهي لغة أهل الحجاز).

أمّا إن كان الفعل المضاعف المكسور العين مضارعاً أو أمرا واتصلا بنون النسوة، فجاز الوجهان الأولان فقط. أي: التمام وحذف عين الفعل بعد نقل حركتها إلى الفاء[43].

أمّا إن كان الفعل المضاعف مفتوح العين وليس مكسورا، واتصلت به نون النسوة أو أُسنِد إلى الضمير المتحرّك، فإنه لا يجوز فيه إلا الوجه الأول وهو الإتمام فقط(لكون العين مفتوحة)[44].كما في قوله تعالى:(قلْ إن ضلَلتُ)[سبأ/50] من ضلّ يضلّ. وقوله تعالى:(فيضلَلنَ رواكد على ظهره)[الشورى/33] من ظلّ يظلّ.

وذهب الشلوبينُ وصاحب التوضيح إلى أنّ هذا الحذف مطّرد، وخالفهما سيبويه وابن عصفور فقالا بشذوذه وأنه لم يرد إلا في لفظين من الثلاثي وهما(ظِلتُ، مِستُ) وفي الفظ الزائد على الثلاثة وهو: أحَسْتُ في(أحْسَسْتُ)[45].

- إنّ الفعل(قَرن) بالفتح قد فُعِل فيه ما فعل بالزائد على الثلاثة (أحَسْتُ) قياسا عليه؛ والقياس في أحَستُ كان قياسا على معتلّ العين نحو: قام قمتُ قَوَمْتُ[46].

– لقد تمّ الحذف في: ظِلت، مِستُ، وأحَست للتخفيف لمّا تعذّر التخفيف بالإدغام، وذلك تشبيها بحذف معتلّ العين نحو: قمتُ، بعتُ، وخفتُ[47].

– ذهب جمهور النّحويين إلى أنّ من شروط الحذف مع النقل أو مع تركه أن يكون الفعل المضاعف المعتلّ ماضيا، لا أمرا ولا مضارعا، فإن كان كذلك لم يستعمل فيه الحذف استعمالا يُعتدّ بمثله. ولذلك كان النقل مع الحذف في الأمر أو المضارع المضعّف نادر وقليل في كلام العرب، ولم يرد إلا بالنقل في القرآن كما في الفعل (قرن)[48].

وقيل أن هذا الحذف(في الأمر) هو لغة منقولة عن سُلَيْم؛ وليست لغة شاذّة عند العرب. لأنّ كما جاز الحذف في الماضي(قياسا على ضلِلتُ، ظلَلتُ...) جاز –أيضا– في المضارع والأمر. خلافا لجمهور النحويين الذين قالوا بعدم جواز القياس على الفعل ضلِلتُ ونحوه[49]، لأنّ ذلك شاذّ وغير مطّرد[50].

– ذهب جمهور النحويين إلى أنّ (قرن) بالفتح والكسر محذوفان من المضاعف، وقد ثباتا بالنقل، لا بالقياس بخلاف الماضي فإن فيه قياس[51].

فمن خلال هذه الملاحظات وما ذكره المفسّرون في معنى الفعل، يقول الباحث:

أوّلا، إن الفعل(قِرن) بالكسر من اقرِرْنَ ثبت نقله من القرآن الكريم–كما قال الشاطبي– وليس من كلام العرب، وهو يحتمل معنى القرار والوقار[52]. كما أنّ المعاني الأخرى التي يحتملها الفعل(قرن) ليس أحدها أولى من الآخر، إذ لا دليل على ذلك في اللغة.

يقول الشاطبي حول هذا المعنى: "والوجه الثاني من الإشكال: أنه أثبت|النّاظم| في النقل أنّ قِرنَ من القرار ولا بدّ، لقوله: (وقِرن في اقرِرن وقَرنَ نُقلا)، أي: إنّ قِرنَ من اقرِرن منقول من كلام العرب. وهذ ليس كذلك، لأنّ قِرن إنما نقل في القرآن، وهو–كما رأيت– محتمل أن يكون أصله: اقررِنَ...أو يكون افْعِلْنَ من الوقار، وأحدُ الوجهين لم يتعيّن بعدُ، فكيف يجعلُ قَرنَ من القرار منقولا ثابتا، وليس كذلك، لأنّه إنما يثبتُ إذا لم يحتمل غير ما ادّعيت فيه، فلا يصح لك أن تقول في هذا إنّه من القرار خاصّة لا من الوقار؛ إذ لا دليل على ذلك، وإذا لم يدلّ عليه دليل لم يكن إذا جعلته من القرار بأولى من أن تجعله من الوقار، ولا تثبت اللغة بمثل هذا، ولا اعتماد على الاحتمال المجرّد من غير دليل"[53].

ثانيا، إذا قلنا أنّ القرار هو المعنى الراجح للفعل (قرن) بالكسر أو الفتح، فإن في هذا إشكال، وهو أنّ "القرَار" من قرِرت بالمكان أقَرّ، أصله: اقرَرن(قرِرْتُ أقَرُّ)؛ وهي لغة: نادرة وقليلة في كلام العرب، حكاها الكسائي. أي: الحذف في الماضي والأمر المضاعفين، وفيها من العلل التي أشرنا إليها سابقا. وكذلك كون معناه(القرار) على خلاف المشهور.

لكنّ قرة العين رغم أنّ أصله–كذلك– لغة نادرة وقليلة في كلام العرب ولم تثبت إلا بالنقل، إلا أنّ معناها هو المشهور والمحفوظ في كلام العرب كما ذكر المازني وأبو حاتم[54].

أمّا المعنى الثالث، وهو: الوقار الذي أصله: وقر يقِر قِرْ، اوْقرْنَ، فهو استعمال منقول من كلام العرب ومشهور[55]؛ وليس فيه علة توجب الاختلاف في أصله أو معناه(كما هو في أصل المعنى الأول).

يقول ابن جني في كتابه الخصائص، باب اختلاف اللغات وكلّها حجّة:" اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك، ولا تحظُره عليهم...وليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحقّ بذلك من رسيلتها[56]. لكن غاية ما لَك في ذلك أن تتخيّر إحداهما، فتقوّيها على أختها، وتعتقد أنّ أقوى القياسين أقبلُ لها، وأشدّ أنساً بها...هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتينمتراسِلتين، أو كالمتراسلتين...فأمّا أن تقِلّ إحداهما جدّاً وتكثر الأخرى جدّاً، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية، وأقواهما قياساً"[57]. وهذا القول هو الذي نَستنِدُ إليه في ترجيح معنى على آخر في الفعل(قرن). أي: الأخذ بالأوسع رواية والأقوى قياساً.

لذلك وجب إلحاق ما كان نادرا في المعنى أو مختلف في أصله إلى ما كان مشهورا ومتفقا على أصله[58]، مع تحقيق التقارب في المعنى. لأنّ الحرص على اتفاق القراءتين وتوارُدهما على معنى واحد أولى من حملهما على معنيين مختلفين، كما قال الشاطبي[59].

وكذلك إن بحثنا عن المعنى المقارب للوقار، وجدنا أنّ "قرّة العين" هي أقرب المعاني إليه من "القرار" أو الاجتماع. لأنّ وجود القُرُور والسّرور يستلزم منه – بالضّرورة – الوقار والسكينة. أمّا القرار فلا يستلزم منه بالضرورة تحقّق الوقار. وبهذا نجمع بين القراءتين وبين المعنى الراجح في كلّ منهما.

أي: أنّ الراجح في معنى الفعل(قرن) هو: الوقار بالنسبة للقراءة الثانية بكسر القاف، وقرّة العين بالنسبة للقراءة الأولى.

وأمّا توجيه المعنى الثالث(الاجتماع) من القراءة الأولى(قَرن بالفتح)؛ فإن كان كذلك، أي: من قَارَ يَقَارُ. فمعناه يختلف عن معنى القرار(المكث)، إذ الاجتماع لا يستلزم منه بالضرورة المكوث وعدم الخروج خلافا للقرار.

كما يمكن تقديره: واجتمعنَ في سكينة ووقار في بيوتكنّ– إشارة إلى صفة القرار– جمعا بين القراءة الأولى والثانية، ولأنّ أصل المعنيين(اشتقاقهما) ثابتان ومشهوران في لغة العرب.

أمّا القول أنّ المعنى هو: وامكُثنَ في بيوتكن أو وامكُثنَ في بيوتكنّ في سكينة ووقار– جمعا بين القراءتين– كما ذهب إلى هذا جمهور المفسّرين، فهو مرجوح للعلّة التي بيّنّاها سابقا.

وتجدُر الملاحظة إلى أنّ المعنى(قرّة العين) يتوافق مع سبب نزول هذه الآيات(يا أيها النبيء قل لأزواجك.....ويُطهِّركُم تطهيرًا)[الأحزاب/28] ويوجد بينهما انسجام تامّ؛ فنساء النبي صلى الله عليه وسلم لما طالبنه بالنفقة فوق طاقته ولم يرضينَ بمعيشته المألوفة، صِرْن يَرَيْنَ أنفسهنّ وكأنهنّ يَعِشنَ في نكدٍ وتعاسة[60].

فكانت الحاجة إلى مثل هذا الإرشاد، أي: الاقتداء بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واتباع أسباب الحياة السعيدة والمطمئنة باتخاذه الأصل والمثل الأعلى للحياة السعيدة، وبعدم الاطلاع إلى ما جاوز ذلك، ضرورية لهن.

وكذلك، يتضمّن هذا المفهوم(قرة العين) معنى القراءة الثانية "قِرن"، والذي هو الوقار والسّكينة. فظهور الوقار والسكينة يتحقّق بمجرد اتباع النّبيّ صلى الله عليه وسلم واتخاذه قرّة عين. والله سبحانه وتعالى قد علّمنا أن ندعوَه بأن يجعل لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين. على عكس ما لو قلنا أنّ المعنى الراجح هو القرار، فإنه لا يتحقّق معه السكينة والوقار بالضّرورة[61].

الخاتمة:

بعد هذه الدّراسة العلمية تمّ الوصول إلى النتائج الآتية:

1– يتضمّن الفعل قرن بالفتح والكسر أربعة معاني، وهي: القرار(المكوث والاستقرار) في القراءة الأولى والثانية، قرّة العين، الوقار، الاجتماع. وكلّها معاني تحتملها الآية.

2– لقد ألحق النّحويّون الفعل قرن أثناء توجيه أصل معانيه إلى أفعال ثلاثة، وهي: الفعل المضاعف، الفعل الأجوف، والفعل الثلاثي المعتلّ الفاء.

3– لقد رجّح الباحث ما ذهب إليه بعض المفسّرين والنحويين، وهو أنّ قرّة العين معنى للفعل (قرن) في القراءة الأولى، والوقار معنى للقراءة الثانية. لأن كلاّ من أصليهما أوسع رواية وأقوى قياسًا في لغة العرب من المعاني الأخرى المحتملة، ولأنّ في ذلك تناسبًا بينها وبين سبب نزول الآية(آية التخيير).

4– ذهب الباحث إلى أنّ معنى الاجتماع لا يستلزم بالضرورة المكوث والاستقرار. ولذلك إذا اعتُبر الاجتماعُ معنى للقراءة الأولى، فلا بدّ من إضافة صفة الوقار والسكينة جمعًا بين القراءتين. فيكون المعنى: واجتمعن في سكينة ووقار في بيوتكنّ، وأمّا القول: واجتمعن في بيوتكنّ مطلقا فليس له أيّ مقصد لأنّ الأصل في الانسان أن يسير في الأرض، كما هو في كثير من آيات القرآن الكريم.

5– لقد استبعد الباحث القرار كمعنى للقراءة الأولى والثانية لأنّ فيه عللا متعلقة بأصله واستعماله في كلام العرب، ولأنّه لا يوجد انسجام واضح بين هذا المعنى(عدم الخروج إلا بإذن) وسبب نزول الآية.

فهرس الهوامش:

[1]- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، الدّمياطيّ، 454/1.الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي أبو عبد الله الشيرازي، 1035.

[2]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 10/22.

[3]- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، الدّمياطيّ، 454/1.الحجة، ابن زَنْجَلة، 577.

[4]- جامع البيان، الطبري، 96/19.

[5]- معاني القرآن، النّحاس، 346/5.

[6]- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي أبو عبد الله الشيرازي، 1036.

[7]- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، الدّمياطيّ، 454/1.

[8]- انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، 277-278.

[9]- الفريد في إعراب القرآن المجيد، حسين ابن أبي العزّ الهمذاني، 41/4. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، 277-278.التحريروالتنوير، الطاهر بن عاشور، 10/22.التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، 260/9.

[10]- جاء في قاموس محيط المحيط(231/7):"قرّ: (فعل ثلاثي لازم)، قرّتْ، تقَرُّ، تقُرُّ، مصدر. قرٌّ، قرَّةٌ، قرُورَةٌ. قرّت عينه: رضي، فرح، سُرّ، اطمأنّ. فرددنا إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن، قرّ الرجل عينا: رأى ما كان متشوّقا إليه فسُرَّ.

[11]- التحريروالتنوير، مرجع سابق، 10/22.

[12]- معاني القرآن، النّحاس، 346/5. تفسير ابن حجر، سورة الأحزاب، مرجع سابق، 277-278.

[13]- التحريروالتنوير، مرجع سابق، 10/22.

[14]- الكافي في التصريف، أطفيّش، 186. كتاب العين، الخليل، 373/3. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، مرجع سابق،260/9.

[15]- الفريد في إعراب القرآن المجيد، حسين ابن أبي العزّ الهمذاني، 41/4.

[16]- جامع البيان، الطبري، 96/19.

[17]- التحريروالتنوير، مرجع سابق، 10/22.

[18]- الفريد في إعراب القرآن المجيد، حسين ابن أبي العزّ الهمذاني، 41/4.

[19]- انظر: التحرير والتنوير، 10/22.

[20]- الحجّة، ابن زَنْجَلة، 755.

[21]- انظر: التحرير والتنوير، 10/22.

[22]- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 426/9.

[23]- انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ص:277. شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، 453/2.

[24]- معاني القرآن، الفرّاء، 342/2.الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي أبو عبد الله الشيرازي، 1035.

[25]- انظر: جامع البيان، الطبري، تفسير سورة الأحزاب. قال الإمام:(فَلَيْسَ الَّذِي اعْتَلَّ بِهِ مَنِ اعْتَلَّ لِصِحَّةِ الْقِرَاءَةِ بِفَتْحِ الْقَافِ فِي ذَلِكَ، بِقَولِ الْعَرَبِ فِي ظَلِلْتُ وَأَحْسَسْتُ: ظَلْتُ وَأَحَسْتُ، بِعِلَّةٍ تُوجِبُ صِحَّتَهُ؛ لِمَا وَصَفْتُ مِنَ الْعِلَّةِ).

[26]- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 426/9.

[27]- انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، 277.

[28]- الكافي في التصريف، أطفيش،186.

[29]- ذكره الزمخشري عن أبي الفتح الهمذاني.(انظر: تفسير الزمخشري، 537/3).

[30]- الكافي في التصريف، أطفيش، 187.خاف يخاف: فعل أجوف، أصله: خَوِفَ، يَخْوَفُ؛ أبدِلت الواو ألفا قياسا على الفعل المجرّد الثلاثي: علِمَ يعْلَمُ(للاشتراك في نفس الوزن: فعِلَ يفْعَلُ).

[31]- انظر: شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، 450/2.

[32]- انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني،277. التحرير والتنوير، 10/22.

[33]- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 427/9.

[34]– انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ص:277. الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي أبو عبد الله الشيرازي، 1036. التحرير والتنوير، 10/22.

[35]– معاني القرآن، الفرّاء، 342/2.

[36]– جامع البيان، الطبري، 97/19.

[37]– انظر: معاني القرآن، الفراء، 342/2.

[38]– انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، 277.

[39]– الحجّة، ابن زَنْجَلة، 755.

[40]– الحجّة، ابن زَنْجَلة، 755.

[41]– الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي أبو عبد الله الشيرازي، 1036.

[42]- شرح التصريح على التوضيح، 754/2.

[43]– المرجع نفسه، شرح التصريح على التوضيح، 755/2. معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني الدّقر، 254-255.

[44]– المرجع نفسه، شرح التصريح على التوضيح، 755/2.

[45]– المرجع نفسه، شرح التصريح على التوضيح، 754/2. شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، 451/2-452.

[46]– المرجع نفسه، شرح التصريح على التوضيح، 755/2.

[47]– انظر: الممتع في التصريف، ابن عصفور، 661/2.

[48]– المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 415/9-416.

[49]- كالفعل ظَنتُ في ظننتُ، ومست في مسست وأحَست في أحسستُ(انظر: المقاصد الشافية، 424/9). والفعل(أحَستُ) يحتمل أن يكون ممّا لا يدخله القياس(الحذف مع النقل أو مع تركه) لتخلّف شرط كونه ثلاثيا(انظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 418/9).

[50]– المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 416/9-417.

[51]– المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 425/9.

[52]– المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، 428/9.

[53]– المرجع نفسه، المقاصد الشافية، 428/9. وقد أجاب المؤلف على هذا الإشكال بعد عرض هذا الكلام مباشرة(انظر: ص428-429).

[54]– انظر: التحرير والتنوير، 10/22.

[55]– الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي أبو عبد الله الشيرازي، 1036.

[56]– التّرسيل: الموافق لك في النضال ونحوه. والرسيل: السهل. (انظر: لسان العرب، 1654).

[57]– الخصائص، ابن جنّي، 07/2.

[58]– انظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مرجع سابق، 422/4.

[59]– المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، مرجع سابق، 429/9.

[60]– انظر: التحرير والتنوير،314/21-318.

[61]– إنّ ما أُثر عن السّيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها أنها أبَت الخروج إلى حجّ أو عمرة بعد نزول الآية(وقرن في بيوتكنّ) فهو اجتهاد منها؛ فقد خالفت السيّدة عائشة رضي الله عنها فهمَها إذْ خرجت وتبعَت النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه ليلا لـمّا خرج في ليلتها ظنّا منها أنه ترك المبيت عندها، ومع ذلك لم ينهَها عن الخروج. وكذلك قد خرجت رضي الله عنها في وقعة الجمل لما مات سعد بن أبي وقاص، وأمرت أن يُمَرّ عليها بجنازته في المسجد لتدعو له،كما خرجت إلى بيتِ أبيها أبي بكر في مرضه الذي مات فيه.

قائمة المصادروالمراجع:

1- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد الدّمياطيّ(ت:1117ه)، تحقيق: أنس مهرة، ط/3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

2- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت:1393ه)، دار سحنون، تونس، 1997م.

3- التحقيق في كلمات القرآن، العلامة المصطفوي، دار الكتب العلمية ومركز نشر آثار، بيروت- القاهرة، دت.

4- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ.

5- الحجة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زَنْجَلة(ت:403هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط/5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

6- الخصائص، ابن جنّي، أبو الفتح عثمان ابن جنّي، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، دت.

7- شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن طولون(ت:953هـ)، تحقيد: عبد الحميد جاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

8- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري(ت:905هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

9- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيزالنجار، ط/2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1973.

10- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني(ت:1250هـ)، مراجعة: يوسف الغوُش، دار المعرفة، بيروت، 2004م.

11- الفريد في إعراب القرآن المجيد، حسين ابن أبي العزّ الهمذاني(ت:643)، تحقيق: فهمي حسن النمر وفؤاد علي مخيْمَر، دن، دت.

12- الكافي في التصريف، أمحمد بن يوسف أطفيّش(ت:1332هـ)، تحقيق ودراسة: عائشة يطو، ط/1، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، 2012م.

13- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت:170هـ)، تحقيق: عبد الحميد هذاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

14- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي أبو عبد الله الشيرازي(ت:565هـ)، تحقيق: عمر حمدان الكُبيَسي، جامعة أم القرى، السعودية، 1408هـ.

15- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري(ت:538هـ)، ط/3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

16- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط/1، دار صادر، بيروت، دت.

17- محيط المحيط، المعلم بطرس البستاني(1300هـ)، اعتنى به: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

18- معاني القرآن، أبو جعفر النّحاس(ت:338هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط/1، جامعة أم القرى، السعودية، 1989م.

19- معاني القرآن، أبو زكرياء يحي بن زياد الفرّاء(ت:207)، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دت.

20- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني الدّقر، ط/3، دار القلم، دمشق، 2001م.

21- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت:790هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنّا، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، السعودية، دت.

22- الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي(ت:669هـ)، تحقيق: فخر الدين قبادَه، ط/1، دار المعرفة بيروت، 1987م.